أثر الادب فى الحياة

بقلم محمد قدرى لطفى
ليسانسيه فى الآداب

تؤلف فى الادب كتب ، وتنشأ له صحف ، وتقام له جماعات ، وتشيد من اجله جامعات ، وتعرف به رجال ، فأى اثر لهذا الأدب فى الحياة ، وأى وظيفة يؤديها لهذا المجتمع الذى غلبت عليه المادة ولم تلق فيه المعنويات مايجب لها من عناية وتقدير ؟

ان للأدب عناصر يتركب منها ، اساسها تلك العواطف التى تستولى على المرء فتحرك نفسه وتهتز لها يراعه فتدون على صفحة القرطاس تلك الحركات النفسية ، وتصورها على قدر شدتها او خفتها ، فاذا عرضت على الناس حركت فيهم نفس الشعور واحيت منهم نفس العاطفة

وكم فى هذه الحياة من نفوس دقيقة الحس صادقة الشعور تحركها شؤون الحياة وتهزها صروف الدهر ، هى نفوس ادبية تحس فى صمت ، وتشعر فى سكون . ولكن اصحابها فقدوا اداة الأدب وأعوزتهم المقدرة على التعبير عما يحسون فى أسلوب جميل اخاذ ، وبهذه المقدرة الفنية يتميز الأدباء من غيرهم من ذوى الحس الدقيق والشعور الصادق . فالحياة تذيقنا جميعا حلوها ومرها ، ونلقى منها جميعا ماتحزن له أحيانا وتطرب له حينا ، وهى تعرض علينا من ألوانها الزاهى البهيج والقاتم الحزين . والأديب منا من شرح حسه فأجاد الشرح ، وصور لنا عواطفه فأحسن التصوير ، واذن فليتعز المحزون العاجز عن بث حزنه بنفثات الأديب المحزون ، وليبحث البائس الذى لم يسعفه بيانه عما يسليه ويذهب ببعض آلامه فى سطور الأديب البائس ، وليقرأ المحب الذى أحب فأخلص ، واخلص فتفانى فى أخلاصه ، ولكنه كان اعجز من ان يسمعنا حديث قلبه وينقل الينا اسرار نفسه وخفى حسه ، أقول ليقرأ ذلك المحب العاجز ما كتب المحب الأديب ، فسيجد بين السطور نفسه مرسومة ، وسيلمح فى ثنايا العبارات عواطفه مصورة ، فلست اعرف بين العواطف الانسانية عاطفة تشترك فيها القلوب جميعا ، وينطبق مايقال عنها على الناس جميعا ، كعاطفة الحب الخالص المتين . ألست ترى الانشودة يغنيها المحب شاكيا او باكيا ، فيعدها غيره صدى نفسه وترجمان حسه ؟ واذن فالأدب ضرورة من ضرورات الحياة وعنصر هام من عناصر العيش ، فيه فرح الحزين ، وسلوى المحب ، وعزاء المحزون . وليست مع العزاء مصيبة . ان الأدب هو نتاج العواطف الشريفة وثمار الاحساس الجميل ، ولن تجد كثمرة العاطفة فى حديقة الحياة .

نظرة الى هذا العالم تنبئك عن قدر الأدب بين الأحياء ، فكل من فيه مآله آخر يومه الى الراحة والسكون ، والمرء مهما كد وجد فلابد له من سويعات تقر فيها نفسه ، ويخلد فيها الى السكون جسمه ، وعندئذ فلن يجد أشهى من ثمرات القرائح والنفوس يقطفها من صفحات كتاب . ولن يجد أحلى من زهر العواطف تفوح رائحته من ثنايا النثر او الشعر . ولن اقول أى نثر او أى شعر ، فلكل ذوقه ولكل مايؤثر ، وهى بضاعة من نتاج القرائح معروضة ، فليأخذ منها كل ما يلائم حسه ، ويصادف هوى نفسه .

وتريد ان تعرف قيمة الأدب فى الحياة وتتبين أثره فى الناس . اذن فانظر الى رجل ليس يقرأ الا قصيدة قد حوت رائع اللفظ وساحر المعنى ، وليس يطالع الا فى كتاب قد تضمن من الحديث اعذبه واحلاه ، ومن القصص أحسنه واشهاه ، فيه شجون وفيه احزان ، وفيه شكوى وفيه غرام ، وفيه عاطفة حارة وحس جميل ، وفيه وصف رائع وشعور صادق نبيل ، ثم استمع اليه يحدثك فستجد عقلا مصقولا ونفسا مهذبة ، اثرت فيها هذه الآداب فرققت حواشيها ، وعملت فيها تلك القراءات فارهفت حسها وهذبت نواحيها . وهل اجل فى الحياة من نفس مهذبة وعقل صقيل ؟ وهل ادعى الى حياة الامم ورقيها من نفوس ابنائها وقد طبعت على كل حسن جميل ؟ وهل مثل الأدب مقوم للطبع ومهذب للنفس ؟

وتريد أن تعرف قيمة الأدب فى الحياة وتتبين اثره فى الناس ؟

وكان وادى حلفا منفى للزعماء السودانيين المرغوب عنهم من الحكومة أمثال عثمان دقنه وقد مات بها . وما زال منفيا بها زعيم آخر هو ولد عبد الكريم ينتمى إلى المهدى بصلة القرابة وقد زرته منذ خمس سنوات فوجدته هرما ولكنه قوى .

وبالوادى مكان معد لنزول الطيارات التى تطير بين أوروبا وأفريقية عن طريق مصر والسودان .

عبد الرحمن فهمى